الحياة الريفية وفضائلها عند الكتاب الرومان

د / نادر فتحي محمد عبدالغني
أستاذ مساعد بقسم التاريخ – كلية الآداب – جامعه دمياط

الملخص :

تتناول هذه المقالة صورة الحياة الريفية وما تتميز به عند الأدباء الرومان القدماء ، وتلقي الضوء على المناداة للعودة لحياة الريف البسيطة وأخلاق الريف ، كما تعرض أعمال الأدباء عن الريف وضرورة العودة إلى الجذور . حيث البساطة والهدوء هروبًا من ضوضاء الحياة والاسترخاء بعيدًا عن الأعباء والالتزامات

rural life and its virtues When the Roman writers

Summary :

This article deals with the image of rural life and what is distinguished by it for the ancient Roman writers, and sheds light on the call to return to simple rural life and rural morals, and also presents the works of writers about the countryside and the need to return to the roots . Where simplicity and tranquility escape the noise of life and relaxation away from burdens and obligations

الحياة الريفية وفضائلها عند مفكري الرومان

تمثل القرية بالنسبة للمواطن الروماني الفضيلة Virtus والورع Pietas والبساطة Simplicitas والرزانة والجدية Gravitas والسمو والجلال والعظمة Granditas والاستقامة Integritas وعزة النفس والكرامة Dignitas ، لذا أصبح غرام المواطن الروماني هو الهروب إلى ضياع أو فيلات Villae من ازدحام مدينته وصخبها ، ومن نوعية حياة لم يألفها من قبل ، حيث زاد الانغماس في الترف والملذات .[1] فالحنين لعصر القرية كان للهروب من تعقيدات المدينة[2] ، وفي الحقيقة إن مثل هذه العاطفة تجاه الطبيعة والفطرة كانت أكثر وضوحًا في السنوات الأخيرة من عصر الجمهورية التي تميزت بالتحول العقلي إلى الطبيعة ، وهو العصر الذي بحث فيه الرومان عن الراحة من صراع المعاصرين السياسي ومن الحروب الأهلية التي مزقت أوصال المجتمع الروماني على مدار قرن من الزمان [3] لذلك جاء مدح الحياة الريفية في أواخر العصر الجمهوري دليلاً على رفض المواطنين لحياة المدينة . فسيطرت صورة القرية على الفكر الروماني القديم لأنها مصدر للسعادة والأمان ، فكانت الأمل المنشود في عالم مشحون بالمعاناة والقسوة . فالحياة في أحضان القرية أظهرت انسجام الإنسان مع الطبيعة كرمز للبساطة والقيم فمنذ عهد لوكيليوس Lucilius (180 ق.م – 103 ق.م)[4] حتى كوينتيليانوس Quintilianus (35 – 96 م) [5] أثارت فكرة اللجوء للقرية عقول المفكرين فنجد كوينتيليانوس يتساءل : أيهما أفضل حياة القرية أم حياة المدينة ؟ ,Ut rusticane vita an urbana potior[6] .

الرومان في بدايتهم كانوا يتألفون من إحدى وعشرين قبيله قروية في مقابل أربع قبائل مدنية[7] . ولكن سرعان ما تحولوا مع بداية العصر الجمهوري إلى محاربين ، فكان هذا بداية انهيار لكيانهم الريفي[8] فالشعراء في العصر الأوغسطي يمدحون بشكل مباشر فكرة الحياة الريفية التي ظهرت في سياقات متعددة من أعمالهم[9] ويمكن القول إن نظرة الشعراء إلى الريف كمصدر للقوة الرومانية ودعوتهم إلى العودة إلى الأخلاق الرومانية التي هدمتها الحروب الأهلية كانت سببًا

---

١ - Griffin J., (1976) " Augustan Poetry and Life of Luxury ", JRS 66, P.90 .
٢ - Leach E. W., Op. Cit. pp. 58-59.
٣ - Putnam M. C. J., (1970) Virgil's Pastoral Art, Princeton, , pp. 6-7.
٤ - Ramage E. S., (1960) " Early Roman Urbanity ", AJPh 81, pp. 55-72.
٥ - Braund S. H., (1989) " City and Country in Roman Satire ", in S. H. Braund (edit.) Satire and Society in Ancient Rome, Exeter, , p. 23.
٦ - Quint. Inst. Orat. 2.4.24
٧ - Hodge H. G., (1944) Roman Panorama : A Background for to-day, Cambridge, , p. 17.
٨ - Ibid., p. 18.
٩ - Lihlewood R. J., (1982) " Politics in Augustan Poetry ", ANRW2, pp. 311-325.

لذلك الحماس والتعصب[1] فنجد الشاعر " لوكيليوس Gaius Lucilius " يصور لنا طعام أهل الريف البسيط الذي يراه الرومان زهيدًا نظرًا لثرائهم المفاجئ الذي انعكس على حياتهم الاجتماعية مما جعل المسئولين يصدرون قانونًا عام 129 ق.م يحدد كمية الطعام التي تقدم في الولائم ويصور لنا الشاعر هذه الحالة قائلاً :

المشهيات مثل الهندباء البرية[2] أو بعض الأعشاب التي من هذا القبيل

وحساء أسماك الرنجة ، إنه طعام جيد ، لكنه غثاء[3] .

Pulmentaria, ut intibum aut aliqua id genus herba, et ius maenarum, bene habet; sed mictilis haec est.

هذا الطعام التافه كان طعام الرومان الأوائل ومازال طعام أهل الريف البسطاء .

كاتو أدرك قيمة حياة الريف في مزرعة العائلة ببلدته رياتي Reate السابينية ، ثم كان انغماسه منذ سن الرجولة في الحياة السياسية واشتراكه في الحرب البونية الثانية ، سببًا في إدراكه لقيمة حياة الريف ، ومن ثم كان كتابه " عن الزراعة أو عن الحياة الريفية De Agricultura أو De re rustica هو خير مرشد للرومان عن تراثهم الريفي في عصر فقدت فيه الشخصية الرومانية هويتها الريفية ، فأراد كاتو أن يذكر كيف كان الأجداد يقومون بحرث الأرض مع عبيدهم ، وكيف كانت نساؤهم خير عون لهم . لقد حرص كاتو على أن يقدم في هذا العمل ليصور كافة أوجه الحياة في مزرعة رومانية .

وقد رفض كاتو في بداية كتابه هذا العمل بالتجارة ، حتى لو كان ذلك يجلب الثراء ، وهو بذلك يرفض المدينة ضمنيًا من خلال رفضه العمل بأحد مجالاتها ، بل ويؤكد على أن الأجداد كانوا ينظرون إلى الفلاح على أنه هو الرجل الفاضل – إذ يقول : " فلاح فاضل ومزارع فاضل "[4] Bonum agricolam bonumque colonumحيث خرج من بين طبقة المزارعين أشجع الرجال وأبسل الجنود الذين حققوا لروما أمجادها وانتصاراتها إذ يقول : " لكن يولد من المزارعين اشجع الرجال واقوى الجنود "[5] At ex agricolis et viri forissimi et milites strenuissimi gignuntur . حديثنا ينتقل إلى شيشرون حيث عاصر فترة التقلبات السياسية

---

١ - Alpers P., (1979) The Singer of the Eclogues : A Study of Virgilian Pastoral, California, p.2.

٢– نبات الهندباء البرية : بقل نباتي ، يطبخ ورقة أو يؤكل طازجًا (O.C.D 1996. P. 2006)

٣ - Lucil. Fr. 1032-33

٤ - Cat. De Agricul. 2

٥ - Cat. De agricul. 4

والحروب الأهلية التي اندلعت في روما ، بل وكان شيشرون نفسه مشاركًا في هذه الاضطرابات السياسية ، ومن هنا كان وجود المنزل الريفي Villa . حيث صور لنا شيشرون في عمله عن الخطيب De Oratore ، انسحاب كراسُّوس Crassus من ضغط الحياة السياسية في روما إلى توسكولوم Tusculum من أجل أن يجمع شتات نفسه ؛ وفي هذا الصدد يقول شيشرون ! : كما لو كان لوكيوس كراسُّوس قد ذهب إلى ضيعته في توسكولوم لكي يستجمع شتات نفسه ويتدبر في أمر قضيته[1] .

L. Crassum, Quasi

Colligendi sui causs, se in Tusculanum contulisse

شيشرون في عمله عن الشيخوخة De Senectute ، يقدم لنا رؤية عن بهجة العمل بالزراعة ومتعته : " الآن آتي إلى مُتع المزارعين ، والتي أجد فيها بهجة تستعصى على التصديق ؛ فليست هناك أية مشكلة تعوق شيخوختي ، فهم يبدون لي أنهم يحيون حياة تجعلهم أقرب ما يكونون إلى حياة الحكماء . إذ أن لديهم الحصافة في التعامل مع الأرض التي لا تتنكر أبدًا للسلطة والتي لا ترفض أبدًا رد ما تتقاضاه دون استغلال ، ولكنها في أحوال أخرى تدر بوجه خاص غنما أكبر بمجهود أقل رغم أن ما يحقق لي المتعة في الحقيقة ليس هو المردود المادي فقط بل هو قوة الأرض ذاتها وطبيعتها[2] .

Venio nunc ad voiuptates agricolarum, quibus ego incredibiliter delector; quae nec ulla impediun-tur senectute et mihi ad sapientis vitam proximevidentur accedere. Habent enim rationem cum terra, quae numquam recusat imperium nec umquam sine usura redditquod accepit, sed alias minorepierumque maiore cum faenore; quamquam me quidem non fructus modo, sed etiam ipsius terrae vis ac natura delectat.

ينظر إلى العمل بالزراعة نظرة احترام ، بل ويعتبره De Officiisشيشرون في عمله عن الواجبات أكثر فائدة وبهجة للرجل الحُر إذ يقول : " إلا أنه لا يوجد أي دخل من كل الأعمال والمهن أفضل من ذلك الذي يكتسب من زراعة الأرض ، ولا شيء أوفى منه ، ولا شيء ألذ ، ولا شيء أجدر منه بالإنسان الحُر وحيث إننا تحثنا بكلام كثير عن كاتو الأكبر ، فإن لك أن تحصل من هذا الموضوع على ما يتعلق بهذه الأمور "[3] .

Omnium autem rerum, ex quibus aliquid acquiritur, nihil est agri cultura melius, nihil uberius, nihil dulcius, nihil homine,libero dignius; de qua

[1] - Cicer. De orat. 1.7.24
[2] - Cicer. De Senect. 15. 51
[3] - Cicer. De offic. 1. 51

quoniam in Catone Maiore satis multa diximus, illim assumes quae ad hunc locum pertinebunt.

عاش فارو Varro أغزر الكُتاب الرومان علمًا[1] في أواخر العصر الجمهوري ، وألف بعد أن بلغ الثمانين من عمره عمله الشهير " الشئون الريفية Res Rusticae " حيث بدأه بقوله : " لو كان عندي وقت فراغ يا فوندانيا ، لدونت لك هذا بطريقة أكثر تناسبًا ولكنني سأقول لك الآن ما سأقر عليه لأنني اعتقد أنني على عجلة من أمري كما يقال "[2] .

Otium si essem consecutus, Fundania, commodious tibi haec scriberem, quae nunc, ut potero, exponamcogitans esse properandum, quod, ut dicitur,

فارو يُذكَّر الرومان في عمله هذا بالأجداد وموروثهم الريفي وأن حياتهم بالمدينة ما هي إلا حياة الخمول والكسل desidia التي يحياها أولئك الذين يمضون جل حياتهم داخل القصور الريفية ينعمون بالدعة والتكاسل ignavia إذ يقول :

" إن أسلافنا الرجال العظام لم يفضلوا حياة الريفيين الرومان على الحياة المدنية بغير سبب حيث إن أولئك الذين يمضون حياتهم داخل القصور الريفية أكثر خمولاً من أولئك الذين ينشغلون بالعمل في الحقول وينهمكون في ممارسة عمل من نوع آخر . وهكذا فإنهم كانوا يعتقدون أن أولئك الذين استقروا بالمدينة كانوا أكثر خمولاً من أولئك الذين دأبوا على حرث الأرض "[3] .

Viri magni nostri maiores non sine causa prae-ponebant rusticos Romanos urbanis. Ut run enimqui in villa vivunt ignaviores, quam qui in agro ver-santur in aliquo opere faciendo, sic qui in oppidosederent, quam qui rura colerent, desidiosiores puta-bant.

عكست معظم أعمال فيرجيليوس موقفًا صريحًا من حياة الريف ، خاصة وأن فيرجيليوس كان شاهدًا على عصر جديد أطلق عليه عصر السلام الأوغسطسي Pax Augusta حيث شهد المجتمع الروماني نتيجة لهذا السلام نوعية حياة لم يألفها من قبل ، فقد زاد الانغماس في الترف والملذات هروبًا من ضغوط العمل السياسي . أوضحت كيف أن مجتمع روما ضحية لمائة عام من اضطرابات الحروب الأهلية . وكانت الزراعيات Georgica تبجيلاً لحياة المزارع البسيطة كجزء من تمجيد القرية . وقد ذكر فيرجيليوس نفسه أن الوزير مايكيناس هو الذي طلب منه أن يكتب

١ - Quint. Inst. Orat., X. I. 95
٢ - Varr. Rerum Rustic. 1. 1
٣ - Varr.Rerum Rustic. 2.1. 1

الزراعيات إذ يقول : " دعنا في أثناء ذلك نسير بحذاء الغابات والأحراش البرية التي تقطنها الحوريات ، فإن أمرك ليس بالأمر اليسير ، يا مايكيناس "[١] .

interea Dryadum silvas saltusque sequamur
intactos, tua Maecenas, haud mollia iussa.

ومن ثم حرص فيرجيليوس على أن يقدم للرومان في الزراعيات سعادة المزارع وهو يعيش حياة قوامها العمل وسلاحه فيها المحراث وسعادته فيها أن يتمدد على العُشب والرفاق يسكبون له الخمر إذ يقول : " وفي أثناء ذلك يشق المزارع التربة بمحراثه المتعرج وهنا (يبدأ) عام العمل ، ومن هنا يوفر الطعام ، لوطنه ، ولأحفاده الصغار ، ولقطيعة من الأبقار وعجوله التي تستحق الإعجاب . فليست هناك راحة حيث يزخر ذلك الفصل من العام إما بثمار الفاكهة ، أو بنسل صغار قطيع الماشية أو بحزمة من سيقان القمح (نبات الربة كيريس) ؛ إذ هو يثقل الأخاديد بالمحصول ويتخم الصوامع (بالحبوب) . ويأتي الشتاء فتعصر ثمار الزيتون السيكيونية في معاصر الزيتون وتأتي الخنازير إلى المنزل مبتهجة بالجوز الذي تنتجه أشجار البلوط ، وتثمر الغابات ثمار الفراولة البرية ؛ ويسقط الخريف نتاجه من الثمار المختلفة ، وفي الأعلى ينضج العنب الأملس فوق الصخور المشمسة[2]

agricola incurvo terram dimovit aratro: hie anni labor, hinc patriam parvosque nepotessustinet, hinc armenta bourn meritosque iuvencos. nec requies, quin aut pomis exuberet annusaut fetu pecorum aut Cerealis mergite culmi, proventuque oneret sulcos atque horrea vincat. venit hiems: teritur Sicyonia baca trapetis, glande sues laeti redeunt, dant arbuta silvae; et varies ponit fetus autumnus, et altemitis in apricis coquitur vindemia saxis.

ويذكر أن القرية هي التي رفعت من شأن روما بين الأمم[3] إذ يقول : " كان السابينيون القدامى يعيشون فيما مضى حياة مماثلة لهذه الحياة التي كان يحيا نضالها ريموس وأخوه (روميلوس) ، وعلى هذا النمو نمت إتروريا القوية والتي نعني بها بالطبع مدينة روما أجمل المدن قاطبة وأكثرها تألقًا وزينة "[4] .

---

١ - Virg. Georg. 3. 40 - 41
٢ - Virg. Georg. 2 . 513 - 522
٣ - Thomas F. R., (1995) " VESTIGIA RURIS : URBANE RUSTICITY IN VIRGIL'S GEORGICS, HSCP 97, p.198.
٤ - Virg. Georg. 2. 532 - 534

hanc olim veteres vitam coluere Sabini, hanc Remus et frater; sic fortis Etruria crevit scilicet et rerum facta est pulcherrima Roma,

تيبولوس قدم لنا صور واقعية حيه عن عالمه المثالي عالم الريف وبدأ يرسم لنا صورة تفصيلية عن اللحظات السعيدة التي لا ينالها إلا في كنف الريف ، فهو يسعد بغرس الكروم والأشجار ، ثم يصلي من أجل المحصول الجيد ويؤكد احترامه للحقول ولآلة الفلاح ، كما يتضح لنا من الأبيات التالية التي يقول فيها : " سوف أزرع بنفسي في الموسم المناسب ، شتلات الكروم اللدنة وأشجار الفاكهة الباسقة ، حيث إنني قروي فلاح ذو يد متمرسة ؛ ولن يخيب املي ، بل إنني مفعم بالأمل في أن أحظى دومًا بأكوام الثمار والفواكه وأن تمتلأ الأحواض بعصير العنب الوفير ذلك أنني أنظر بعين التوفير والإجلال سواء إلى أشجار الكروم المبثوثة في الحقول أو إلى الحجر المرمري العتيق الموضوع في تقاطع الطرق والمزدان بإكليل من الأزهار اليافعة ، وكذا إلى الموسم الجديد الذي ينتج من أجلي كل ما تيسر من الثمار والفاكهة التي تقدم كسكيبة وتوضع أمام المزارع الذي يبدو وكأنه إله (تقدم له القرابين) "[1] .

Ipse seram teneras maturo tempore uites rusticus et facili grandia poma manu; Nec spes destituat, sed frugum semper aceruosPraebeat et pleno pinguia musta lacu: nam veneror, seu stipes habet desertus in agrissou uetus in trivio florida serta lapis, et quodcumque imhi pomum novus educat annus libatum agricolam ponitur ante deum

.

كذلك يصور لنا تيبولوس الحياة الآمنة في القرية فلن يُخيف الذئب الشاة ، وسوف يثق الفلاح في حقوله التي تجلب له الرخاء والسعادة[2] . ومن ثم كان إعلانه صراحة أنه يتغنى بالقرية وبهذه الحياة بكل معالمها ، فما أروع هذه الحياة التي تُخلِّص الإنسان من همومه وتمزج النفس بالطبيعة إذ يقول : " فأنا أغني للقرية ولآلهة الريف ، فهذه هي الحياة بالنسبة لأربابها (الرعاة) "[3] .

Rura cano rurisque deos: his vita magistris

اتخذ أوفيديوس موقفًا ينادي بالعودة إلى الريف ، فرغم أن المدينة عنده ارتقت إلى مكانة أسمى وأرقى من الريف نجده في الغزليات Amores يُعرِّي المدينة أخلاقيًا ويصفها بأنها منبع

[1] - Tib. I. 1. 7 -14
[2] - (Tib. 2. 1. 15-24; 47-66)
[3] - Tib.2.1.37-38

الفسق والمجون ، قائلاً : " ضع هناك (أي في روما) هيبوليتوس وسيصبح بريابوس (إله المجون) "[1] .

illic Hippolytum pone, Priapus erit!

نفس الفكرة يؤكدها في كتابه " فن الهوى Ars Amatoria " ، حيث أكد أن هذا العصر وهذه الحياة تتناسب مع طبيعته الشخصية ، لأنه يحب الثقافة وهي ما يجدها في كنف المدينة بينما الفظاظة الريفية هي للأجداد فقط – قائلاً : " دع العصور العتيقة تبهج الآخرين : أما أنا فأهنئ نفسي لأنني ولدت الآن في آخر الأمر : فهذا العصر يتوافق مع طباعي وليس سبب هذا أن الذهب العنيد قد غدا طوع بنان الأرض ، وأن الأصداف التي تم انتقاؤها من سواحل شتى قد غدت متاحة : أو لأن الجبال باتت تتضاءل بسبب ما ينزع منها من رخام ، أو لأن المياه الزرقاء قد باتت تتخسر بفعل كتل الصخور : بل لأن الثقافة قد حلت بديارنا وغدت قريبة منا ، ولأن الفظاظة التي توارثناها عن أسلافنا الأقدمين على مر السنين لم تعد موجوده في أيامنا هذه "[2] .

Prisca iuvent alios: ego me nunc denique natum Gratulor: haec aetas moribus apta meis. Non quia nunc terrae lentum subducitur aurum, Lectaque diverse litore concha venit: Nec quia decrescunt effosso marmore montes, Nec quia caeruleae mole fugantur aquae: Sed quia cultus adest, nec nostros mansit in annosRusticitas, priscis ilia superstes avis.

يُعد مؤلف ليفيوس عن تاريخ مدينة روما منذ تأسيسها Ab Urbe Condita عمل وطني من أجل معالجة قصص الأبطال القوميين الذين نالوا نوعًا من الاحترام والتوقير وهذا ما تغطية الأجزاء (1 – 5) من هذا العمل ، حيث يستثير النزعة الوطنية عند الرومان ويذكرهم بأن آباءهم الرعويين قد أسسوا مدينة عظيمة لها تقاليدها وفضائلها ويؤكد أن النشاط والنظام وروح العمل والكد هم الذين ميزوا روما منذ بدايتها الأولى[3] . حيث يتحدث بإعجاب شديد عن القيم والفضائل التي خرجت من الريف وذلك في الإشارة إلى النظام والكد والاعتدال ومنظومة الحياة التي حظى بها كوينكتيوس Quinctius وهو يحرث أرضه التي تتكون من أربعة أفدنه Iugera رومانية[4] ، وفي وسط هذه الحياة الرشيدة يرسل مجلس الشيوخ وفدًا لاستدعائه ليشغل منصب الديكتاتور . فالفكرة التي اراد بها ليفيوس أن يخاطب معاصريه هي أن روما تدين بالكثير من عظمتها وقوتها إلى صغار ملاك الأرض الأقوياء الذين يعيشون حياة الكفاف ، ويعملون في

[1] - Ovid. Amor. 2 .4. 32
[2] - Ovid. Ars. Amat 3 . 121 - 128
[3] - Leach E. W., Op. Cit. p. 62.
[4] – اليوجيروم Iugerum هو مقياس للأرض مساحته 240 × 120 قدمًا .

اراضيهم بأيديهم قائلاً : " إن الأمل الوحيد لقوة الشعب الروماني ، هو لوكيوس كوينكتيوس الذي داب على حرث حقله المكون من أربعة افدنة على امتداد نهر التيبر ، وهو المكان الذي يسمى باسم مروج كوينكتيوس التي تقع قبالة ذلك المكان ذاته الذي توجد فيه حاليًا أحواض بناء السفن ، وهنالك (وجده) ممثلو مجلس الشيوخ وهو منحن طورًا على مجرفته ليحفر حفرة في أرضه أو وهو يحرث طورًا آخر يظهر حدبه وشوقه إلى حقله ؛ وبعد أن أزجوا إليه بالتحية ورد عليهم تحيتهم بمثلها وهو يعمل بأرضه بكد لا جدال فيه . أجل عثروا عليه في ذلك المكان الذي يكاد يقف فيه ، طلبوا منه أن يرتدي عباءته ليستمع إلى أوامر مجلس الشيوخ التي تقضي بأن يوجه جل عنايته إلى ما يخص الشأن العام للوطن ذاته . وكانت الدهشة ماثلة حقًا على قسمات وجهه وهو يردد سؤاله لهم : (ترى هل يكفي الوداع) ؟[1]

sees unica imperil populi Romani, L. Quinctius trans Tiberim, contra eum ipsum locum ubi nunc iiavalia sunt, quattuor iugerum colebat agrum, quae prata Quinctia vocantur. Ibi ab legatis-seu fossam fodiens palae innixus, set cum araret, operi certe, id quod constat, agresti intentus-salute data invicem redditaque rogatus ut, quod bene verteret ipsi reique publicae, togatus mandata senatus au-diret, admiratus rogitansque "satin salve?"

مؤلف كولوميلا Columella عن الزراعة De Re Rustica خير شاهد على ما آلت إليه القرية وحياة الفلاح في القرن الأوَّل الميلادي فحسب[2] ، بل كان منظومة من اثنى عشر جزءًا جمع فيها كولوميلا موروث سابقية ليخاطب أهل المدينة (روما) ويؤكد لهم أنهم يقضون أسوأ فترات حياتهم بعد أن تدفقوا على المدينة واستعلوا على الريف وحياة الفلاح وأطلقوا أيديهم في المسارح والمدرجات الرومانية بحثًا عن الملذات والشهوات بدلاً من استخدامها في الزراعة والحصاد .

ويتضح هذا من محاور الموضوعات التي طرحت من خلال الاثنى عشر جزءًا ، **فالجزء الأوَّل** يتناول بعض القواعد العامة للحياة الريفية التي تشمل اختيار الأرض والاستحواذ على الماء وإدارة المزرعة ، كما يعالج **الجزء الثاني** حرث التربة وتسميد المحاصيل المختلفة ، ويعرض

[1] - Liv. 3. 26. 8 - 9

[2] - Duff J. W., (1964) A Literary History of Rome in the Silver Age from Tiberius To Hadrian, London, , p. 131.

الشاعر في **الجزئيين الثالث والرابع** لزراعة الكروم ويتناول في **الجزء الخامس** أبعاد الأرض المزروعة واشجار الدردار والزيتون وبعض أشجار الفاكهة ، وفي **الجزء السادس** يتحدث عن تربية الماشية والجياد ، بينما يتناول في **الجزء السابع** تربية الماعز والماشية وصناعة الجبن ، ويعالج في **الجزء الثامن** تربية الدواجن والسمك ، ويدور **الجزء التاسع** حول تربية الماشية البرية والنحل ، ويخصص **الجزء العاشر** لزراعة الحدائق ، بينما يخصص **الجزء الحادي عشر** للواجبات الخاصة بالمشرف على المزرعة Vilicus ، وأخيرًا يتناول في **الجزء الثاني عشر** واجبات زوجة وكيل المزرعة ومهامها ويأتي على رأسها صناعة الجبن والنبيذ والزبيب .

أدرك كولوميلا بحكم نشأته[1] إن الحياة الريفية التي كانت تمثل قوة روما فيما مضى أصبحت ضعيفة لذا كان هدفه الأسمى هو أن يهيب بالرومان لكي يتركوا المدينة ويعودوا إلى الريف ، فأخذ يُذكِّر مواطني المدينة بالأجداد العظماء الذين خرجوا من كنف الريف ، وكان أولهم كوينكتيوس الذي تم استدعاؤه وهو يحرث أرضه ليشغل منصب الديكتاتور ، بغية إنقاذ القنصل المحاصر وجيشه آنذاك ولكنه بعد إحراز النصر عاد ثانية إلى إرث أجداده وإلى ثيرانه[2] ، هذا بالإضافة إلى القنصلين جايوس فابريكوس Gaius Fabricius (قنصلاً في الفترة من 282 إلى 278 قبل الميلاد)[3] وكيوريوس دينتاتوس Currius Dentatu (قنصلاً في الفترة من 290 إلى 275 قبل الميلاد) ومما لا شك فيه أن كولوميلا قد أراد عن طريق ذكر هؤلاء الرجال أن يرسل رسالة إلى أهل المدينة مؤداها أن مجد روما قد تحقق على أيدي هؤلاء الذين خرجوا من رحم القرية .

لقد أدرك كولوميلا جيدًا أن قيم الريف وأخلاقه قد أصبحت شيئًا بغيضًا في مقابل الترف وغلو مواطني عصره في الملذات والشهوات مما حدا بهم إلى حياة الكسل والخمول ، فتحول الريف إلى مجرد منتجات وقصور يأتي إليها الأثرياء من وقت لآخر ، ولم تعد هناك كفاءة في الزراعة ولا إدارة ناجحة للضيعة بعد غياب صاحبها واعتماده بشكل مطلق على العبيد الذين وصفهم كولوميلا بأنهم أكثر حظًا لأنهم يشاهدون شروق الشمس وغروبها ، أما حياة الرومان في كنف المدينة فتتحكم فيها الشهوات والملذات ، حيث يقضون لياليهم في فسوق وسكر ونهارهم في لعب ولهو ، فغدوا فريسة للأمراض – قائلاً : " نبدد لياليا في السعي وراء الشهوات السُّكر والعربدة ، ونضيع نهار أيامنا في اللعب أو في النوم ونحسب أنفسنا أننا محظوظين رغم أننا لا نشاهد الشمس في

---

١ – Colum. VIII. XVI. 9

٢ - Colum. I. Prefac. 13-14.

٣ – Colum. III. IX. 2

شروقها ولا في غروبها . وعلى ذلك فإن صحة البدن قد زالت لتحل محلها تلك الحياة الزاخرة بالخمول والكسل . وترتب على ذلك أن أصبحت أبدان شبابنا واهنة وأوصالهم مفككة "[1] .

quaerimus noctesque libidinibus et ebrietatibus, diesludo vel somno consumimus, ac nosmet ipsosducimus fortunatos, quod nec orientem solem videmus nec occidentem. Itaque istam vitam socordem persequitur valetudo. Nam sic iuvenum corpora fluxa et resoluta sunt,

شاعرنا انهى مهمته بالتعهد بمواصلة السير على درب فيرجيليوس الذي اعتبره هيسيودوس الرومان : " (فيرجيليوس هو الشاعر) الذي أنشد أغنية من أسكرا من خلال المدن الرومانية "[2] .

Ascraeum cecinit Romana per oppida carmen.

أعلن مارتياليس عن موقفه من الريف حيث قال لصديقه جوفيناليس بأنه سيشد الرحال عائدًا إلى مسقط رأسه في بلدة بلبيليس Bilbilis بإسبانيا – قائلاً : " ربما سيحدث ذلك أثناء تجوالك ، يا جوفيناليس ، والضجر يمتلك في سوبورا المفعمة بالضجيج ، أو حينما ترتاد تل مولاتنا ديانا (تل ديانا هو تل أفينتيوم Aventinum وهو أحد تلال روما السبعة) ؛ وأثناء هفهفة طيات عباءتك المسببة للعرق وأنت تقف على أعتاب الموسرين أو حينما ينهك تل كايليوس الأكبر (يقع تل الكايليوس في روما جنوب تل البلاتين وشرق تل الأفنيتيوم) وتل كايليوس الأصغر الهائم الجوال[3] "

Dum tu forsitan inquietus erras Clamosa, luvenalis, in Subura,
Aut collem dominae tens Dianae; Dum per limina te potentiorum
sudatrix toga ventilat vagumque maior Caelius et minor fatigant:

مارتياليس ينظر إلى روما على أنها موطن الأثرياء فقط ، فهم الذين يستطيعون أن ينعموا فيها بحياة هادئة ، مترفة[4]، أما الإنسان الفقير ، فليس أمامه سوى الأماكن الوضيعة المكتظة بالسكان والزحام الذي يسلب الناس من النوم ويحرمهم الاسترخاء والراحة[5] – قائلاً : " هل تسأل لماذا أسعى مرارًا وتكرارًا إلى مزرعتي الضئيلة الكائنة . بالقرب من نومينتيوم الجافة وإلى موقد منزلي الريفي الحقير ؟ الحق أنه لا يوجد مكان في روما ، يا سبارسوس ، للإنسان الفقير . كي يجمع فيه شتات نفسه أو يهجع للاسترخاء فالمدرسون في المدارس . يجعلون صباحًا حياتك إلى

١ - Coium. 1. Prefac. 16 - 17
٢ - Colum. 10. 436
٣ - Mart.Epigr. l2.13- 16.
٤ - Mart.Epigr.l2.18. 1-6
٥ - Shelton J. A., (1988) As the Romans Did: A Source Book in Roman Social history, Oxford, , p. 71.

جحيم ، والطحانون يعذبونك في المساء . بينما (تهوى على رأسك) مطارق النحاسين اليوم بطوله "[1]

Cur saepe sicci parva rura Nomenti Laremque villae sordidum petam, quaeris? Nec cogitandi, Sparse, nec quiescendiin urbe locus est pauperi. Negant vitam Ludi magistri mane, nocte pistores, aerariorum marculi die toto;

ومن ثم وجد مارتياليس ملاذًا في الريف ، حيث ينعم هناك بالنوم العميق والهدوء الذي لا ينقطع : " عندما أشعر بالتعب ويمتلني الإرهاق منها (أي من مدينة روما) . وأهفو مرارًا إلى النوم ، فإنني أذهب إلى منزلي الريفي "[2] .

Taedio fessis

dormire quotiens libuit, imus ad viilam.

١ - Mart. Epigr. 12. 57. 1-6
٢ - Mart. Epigr. 12. 57. 27 -28

نتائج الدراسة :

رصدت هذه المقالة الصور التي رسمها الكتاب الرومان عن ضرورة العودة إلى جذور الأسلاف وأهمية الحياة في الريف لما يتمتع به من هدوء ونقاء .

كانت كتابات الأدباء والشعراء الرومان للعودة إلى الحياة الطبيعية في الريف بعد ما عانوا من الحروب الأهلية التي استمرت ما يقرب من قرن من الزمان تغيرت فيها عادات الناس مع أخلاقهم .

كان التوجه العام إبان المرحلة الأخيرة من الجمهورية وبداية الإمبراطورية هو السعي إلى إحياء أخلاق الأسلاف منادين بالعودة إلى الفضيلة علاجًا لما سببته الحروب من تفكك الأسرة الرومانية .

المقالة ضمت إشارات لأقوال الكتاب الرومان بداية من لوكيليوس حتى مارتياليس لتأكيد الفكرة وهي حاجة المجتمع الروماني إلى العودة لأخلاق القرية بعدما ابهرتهم حياة المدينة التي كانت السبب في كل عثرات المجتمع .

أوضحت الدراسة ارتباط الحياة الريفية بالاستقرار الأسري والاجتماعي لطبيعة حياتهم المنظمة التي تبدأ مع شروق الشمس وتنتهي مع غروب الشمس مرتبطين بأرضهم وزرعهم وماشيتهم بعيدًا عن اللهو وملذات الحياة فكانت حياتهم كلها نشاط وحركة تعود عليهم وعلى أسرهم بالنفع والترابط الاجتماعي

أوَّلاً : مصادر الدراسة :

Cato the Elder. (1934) De Agri Cultura. Translated by W. D. Hooper and Harrison Boyd Ash. Loeb Classical Library. Cambridge, MA: Harvard University Press,.

Columella. (1941) De Re Rustica. Translated by Harrison Boyd Ash. Loeb Classical Library. Cambridge, MA: Harvard University Press,.

Grattius. Cynegeticon. (1934) Translated by J. Wight Duff and Arnold M. Duff. Loeb Classical Library. Cambridge, MA: Harvard University Press,.

Martial. (1993) Epigrams. Loeb Classical Library. Cambridge, MA: Harvard University Press,.

Pliny the Elder. (1938) Naturalis Historia. Edited by H. Rackham. Loeb Classical Library. Cambridge, MA: Harvard University Press,.

Varro. Rerum Rusticarum. (1934) Edited by W. D. Hooper and Harrison Boyd Ash. Loeb Classical Library. Cambridge, MA: Harvard University Press,.

Virgil. Georgics. (1993) Edited by H. Rushton Fairclough. Revised by G.P. Goold. Loeb Classical Library. (1999) Cambridge, MA: Harvard University Press,. London,.

Ovid : Tristia Ex Ponto, (1986) Trans. By. Butter. H. E., (L.C.L.), London,.

Pliny the Elder-.Natural History, (1942) Trans. By. Rackham. H., (L.C.L.), London,.

Propertius Sextus Aurelius, Trans. By. (1924) Butter. H. E., (L.C.L.) Vol. I., London,.

Quintilian : The Institutio Oratoria, (1993) Trans. By Butter. H. E., (L.C.L.) London,.

Vigrilius : Eclogues; (1986) Georgics & Aneneid I-VI Trans. By. Fairclough. H.R., (L.C.L), London,.

مراجع الدراسة :

- Griffin J., (1976) " Augustan Poetry and Life of Luxury ", JRS 66, P.90 .
- Putnam M. C. J., (1970) Virgil's Pastoral Art, Princeton, ,.
- Ramage E. S., (1960) " *Early Roman Urbanity* ", AJPh 81, pp. 55-72.
- Braund S. H., (1989) " *City and Country in Roman Satire* ", in S. H. Braund (edit.) Satire and Society in Ancient Rome, Exeter, ,

- Hodge H. G., (1944) Roman Panorama : A Background for to-day, Cambridge, ,
- Lihlewood R. J., (1982) " *Politics in Augustan Poetry* ", ANRW2, pp. 311-325.
- Alpers P., (1979) *The Singer of the Eclogues* : A Study of Virgilian Pastoral, California,